كل نفس ذائقة الموت

محمود حسن حجازي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كل نفس ذائقة الموت

محمود حسن حجازي

2022-1444

الإهـداء

إهـداء إلى أبـي العزيز ،،،

إهداء إلى أمـي الغالية ،،،

إهداء إلى زوجتـي الحبيبة ،،،

إهداء إلى ابنـي الحبيب ،،،

إهداء إلى ابنتـي الغالية،،،

إهداء إلى كل أحبابـي ،،،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾

النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحشر: ١٨

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

الموت هو النهاية الحتمية لجميع المخلوقات، ومهما قيل من كلام عن الموت تظلّ الألسن عاجزة عن وصف أهواله، فالموت حق والله ﷻ خلق الموت والحياة ليبتلي عباده ويرى من يصبر ومن يكفر، والموت انقطاع للعمل وانقطاع لتعلق الروح بالبدن ومفارقتها الحتمية له، بعكس الحياة التي تكون فيها الروح متعلقة بالبدن ومتصلة به، لكن الله ﷻ يُجسد الموت يوم القيامة ويجعله على هيئة كبشٍ ثم يُذبح، وبهذا ينتهي الموت إلى الأبد، وقد قال الناس كلام عن الموت ووصفوه بوصوف كثيرة؛ لأنّ من يعش الفقد يظلّ مترقبًا للموت في كلّ لحظة.

فالموت هو خروج الرّوح من جسم الإنسان للانتقال إلى مرحلة الحياة الأبدية وأغلب الأديان تشترك في ذلك معتبرة الموت باباً للولوج في حياة أخرى بعد مرحلة مؤقّتة من الحياة الدّنيا وهي مجرّد ابتلاء وامتحان.

فالموت هو حقيقة واقعة لا محالة تصدمنا في نهاية طريق قد يطول أو يقصر بسبب أودون سبب وفي بعض الأحيان بما لم يكن في الحسبان، وهي نهاية حتميّة لأيّ كان

مهما طال به العمر أو اتّخذ له من التّحصينات أو اعتقد واهماً أنّ الدّنيا منحته صكّ أمان، مات خير من كان ومن هو لقصّة الوجود عنوان فكيف لا لبقيّة الأنام؟ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠

قد يبدو الموت وكأنّه زائر غريب يطرق أبوابنا فجأة ليختطف أحدنا مع أنّه ليس بالوافد وليس بالغريب فهو يعرفنا بقدر جهلنا به أو تجاهلنا له، فنحن نعيش ظاهرة الموت في كلّ لحظة وحين، فكلّ خلايانا تحمل كتاب موتها المبرمج فتموت الملايين منها لتبرز ملايين أخرى في توازن بديع بين نظامي الموت والحياة وعمليّات الهدم والبناء وقد يختلّ التّوازن وينهار أحد النّظامين لينتصر الآخر، قال ﷻ: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الروم: ١٩

الموت هو النهايةُ الحتميّة للأشياء، وهو النقطة الأخيرة التي تُكتب في نهاية السطر، وأكثر الأحداث التي تُسبّب الألم في النفوس، فالموت بكلّ ما فيه من وحشة، يهدم اللذات ويُفرّق بين الناس، ويفصل بين الآباء والأمهات والأبناء، ويُبعد الأحبة عن بعضهم البعض، فكم من عينٍ بكت من الموت، وكم من قلبٍ غصّ بالحزن بسبب الموت، وكم من بيوتٍ أُغلقت بعد أن أنهى الموت حياة ساكنيها، فالموت قاسٍ لا يُفرّق بين الكبير والصغير، ولا يُفرّق بين غني وفقير، ولا بين أميرٍ أو خادم، وهو كأسٌ يدور بين الناس جميعًا، ولا بدّ للجميع أن يشرب من هذا الكأس ليتجرّع مرارة الموت، لهذا من المستحيل أن يكون هناك بيتٌ لم يفقد أهله حبيبًا أو قريبًا أو

صديقًا بالموت، فالموت شيءٌ حتميّ لا مفرّ منه، ولا بدّ من أنْ يأخذ جميع الأرواح، ولا بدّ أن يزورَ جميعَ البيوت.

وللموت فلسفةٌ عميقة تمتلئُ تفاصيلها بالأسى، لهذا تنفر القلوب من ذكره، وتنتفض الأرواح رعبًا منه، فالموت هو الرحلة التي لا عودة منها، ولا أحد يعلم ما إن كانت هذه الرحلة سهلة أم صعبة أم متعبة، لأن الغموض يكتنف الموت ويُحيط بتفاصيله الموحشة، ولا يعلم بأمره إلا الله ﷻ، وإن حضر الأجل وحانت ساعة الموت، فلن ينفع الطب ولا الدواء ولن ينفع الأولاد ولن تنفع الأموال، فالموت قاهرٌ يفرض سطوته على الجميع، ودائمًا تكون الكلمة النهائية له، والله ﷻ قهر العباد بالموت، كي يعلم العباد أن الله ﷻ وحده قادرٌ على الإحياء، وأن الموت والحياة بيده وحده، ولو كان الموت يعرف مقدار الألم والغصّة التي يتركها في القلوب لما تجرأ أبدًا على زيارة أحد، ولو كان يعلم أنه حين ينزع الروح من جسدٍ واحد فإنه ينزع الفرح من قلوب أهله وأحبته لما كان نزع فرحة أحدًا، لكن الموت حقٌ وقدرٌ لا مفرّ منه، وهو السكين التي تنغرس في قلب الحياة لتتركها جثة هامدة لا حول لها ولا قوة، وهو السم القاتل الذي يترك الورود اليانعة صفراء ميتة، فالموت هو الوجه الآخر للحياة، لكنه الوجه المرعب والقاسي، والوجه المنفر الذي لا يرغب برؤيته أحد، ورغم هذا لا بدّ للإنسان أن يستسلم لحقيقته، وأن يعمل لأجله، وأن يترك خلفه أثرًا طيبًا، فالموت ينزع الأرواح ويترك الأجساد جثة هامدة، لكنه لا يُنهي العمل الطيب والسمعة الحسنة، ولا يمحو أعمال الإنسان الصالحة؛ لأن الله ﷻ الذي يقهر عباده بالموت سيبعثهم من جديد حيث لا موتَ بعدَها أبدًا.

فلنحذر عباد الله من طول الأمل، فهو الذي يجعل الإنسان متعلّقاً بدنياه منشغلًا بها، غافلًا عن الدّار الآخرة، فقد حذّر منه ﷻ في محكم كتابه قائلًا:

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

كتبه

محمود حسن حجازي

أبو حازم

فلسطين – غزة

سكرات الموت

تعريف سكرات الموت:

السّكرات جمعُ سَكرة، والسّكرة هي نقيض الصّحو، والشّخص السّكران هو خلاف الصّاحي، وسكرة الموت؛ أيّ شدّته، وسكرة الميّت: هي العلامات التي تدُلّ على موته، **وقال الراغب الأصفهانيّ** في تعريفه للسُّكر: "أنَّها حالةٌ تكون بين المرء وعقله، وأمّا السكرات: فهيَ شدّة وأهوال الموت التي تُصيب الإنسان المحتضِر بسبب خُروج روحه"

كما وردت سكرة الموت في قوله ﷻ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ ق: ١٩، فسكرة الموت وشدّتهُ أذهلت العقول وأشغلت الحواسّ، فالسّكرة: هيَ ما يحول بين المرء وقلبه، وتُخفّف سكرات الموت عن الشّهيد الذي يموت في أرض المعركة، لقول النبي ﷺ: "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة"[1]

الحكمة من سكرات الموت:

توجد العديد من الحِكَم لِسكرات الموت، وبيانها فيما يأتي:

1. تكفيراً لسيّئات المؤمنين، ورحمة لهم، أو رفعاً لِدرجاتهم، أو زيادةً في حسناته، قال ﷺ: "ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه"[2]، وتعدّ سكرات الموت تعذيباً للكافر.

---

[1] سنن الترمذي (4/ 190)
[2] رواه البخاري (7/ 114)

2. معرفة الخلق مقدار الموت وألمه، والاستعداد له، وأنّ شدّته لا علاقة له بحب الله ﷻ له أو بُغضه، بدليل أنَّ الأنبياء عليهم السلام وهم أفضل البشر قد عانوا من سكرات الموت وشدّته.

علامات سكرات الموت:

توجد العديد من العلامات التي تدُلّ على مُعاينة الإنسان لِسكرات الموت، وبيانها فيما يأتي:

1. الألم الشّديد في جميع الجسم وقد عاين النبيّ ﷺ سكرات الموت لقول عائشة أمّ المؤمنين رضيَ الله عنها: "إنَّ رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة – يشك عمر – فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات" ثم نصب يده، فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده"[1]، وقد يكون الإنسان صالحاً وتكون سكرات الموت عليه شديدة، وأمّا الكافر فتأتيه الملائكة وتُبشّره بالعذاب، لِقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣

2. شُخوص البصر، لقول النبي ﷺ: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"[2]

3. إتيان الملائكة للمؤمن الصالح تُبشّره بالرحمة والمغفرة لِقولهِ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا

[1] رواه البخاري (6/ 13)
[2] رواه مسلم (2/ 634)

﴿تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ فصلت: ٣٠، وإتيان الملائكة للكافر وتخوّفه بالنار والعذاب، لقوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ الأنعام: ٩٣

4. الثُّقل والألم الشديد ويُعاني الكافر فيها أكثر من المؤمن؛ فالمؤمن تخرج روحه كما تخرُج القطرة من السّحاب، فعن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ: "فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء"[1]، أما الكافر فيُخرج ملك الموت روحه كما يَخرج السّيخ الخشن من الصّوف المبلول، فعن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ: "يجيءُ ملَكُ الموتِ حتَّى يجلِسَ عند رأسِه فيقولُ أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ اخرجي إلى سخطِ اللهِ وغضَبِه فتتفرقُ في أعضائِه كلِّها فينزِعها نزعَ السَّفُّودِ من الصُّوفِ المبلولِ فتتقطَّعُ بها العروقُ والعصبُ"[2]، ووصف عمرو بن العاص ﷺ سكرات الموت وهو يحتضر بقوله: "والله كأنَّ جنبي في تخت، وكأنّي أتنفس من سمّ إبرة، وكأنَّ غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي"[3]، وقد تشتدّ سكرات الموت على بعض الصّالحين؛ كما حصل مع الأنبياء عليهم السلام.

[1] مسند أحمد (30/ 499)
[2] مسند أحمد (30/ 499)
[3] جامع العلوم والحكم (2/ 356)

5. الحشرجة والغرغرة وتردّدُ الرّوح في الحلق، لقوله ﷻ: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الواقعة: ٨٣

أسباب تذكر الموت:

السبب الأول: زيارة القبور:

لابد على المؤمن أن يزور القبور ويكثر من زيارتها، واجعل لك لو زيارة واحدة للقبور للتذكر الموت، ولقد أمرنا النبي ﷺ بزيارتها فقال: "نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"[1]

السبب الثاني: صحبة الصالحين:

ففي الجلوس مع الصالحين تتنزل الرحمات من السماء، ويغشاك الله ﷻ بفضل من رحمته، فيذكرونك أصحابك الصالحين بالموت، ولا يلهونك عن ذكر الموت، فالمرء على دين خليله، قال ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[2]

السبب الثالث: الاكثار من ذكر الموت:

ذكر الموت عند البعض هو نقيض التفاؤل، وعند العقلاء باب من أبواب الحزم يبعث على استثمار الوقت وعدم الانشغال بما لا فائدة فيه أو بما فيه مضرة، ويحجز عن العدوان على الآخرين، وليس المقصود من الأمر بالإكثار من ذكر الموت إقلاق المذكَرين وتنغيص عيشهم، وإنما المقصود تهيئة الإنسان لما هو لاقيه لا محالة، وليس من النصيحة ولا العقل ترك الغافل على غفلته حتى يواجه ما لا يُحمد بدعوى عدم التنغيص عليه وإزعاجه، لقد كان النبي ﷺ أعظم الناس تفاؤلاً وأشرحهم صدراً

[1] رواه مسلم (2/ 672)
[2] مسند أحمد (14/ 142)

وأطيبهم مجلساً، ومع ذلك كان ﷺ يقول: "أكثروا ذكر هاذم اللذات"[1]، إن الإكثار من ذكر الموت بالإضافة إلى فائدته السلوكية، فهو عبادة عظيمة وسنة نبوية مرغب فيها. وأعلم الناس بما يناسب هو رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يأمر بالإكثار من ذكر الموت، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم على قدر كبير من الوجل والتقى والخوف العظيم من الله سبحانه وتعالى والتقلل من الدنيا والتهيؤ للآخرة إلى مستوى قد يجعل البعض يتساءل ويقول: هل مثل هؤلاء بحاجة إلى أن يؤمروا بالإكثار من ذكر الموت!

قال ابن حجر: "القيام للفزع من الموت فيه تعظيم لأمر الله سبحانه وتعالى وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك وهم الملائكة"[2]، ولما فرطنا بالإكثار من ذكر الموت ماتت قلوبنا، وصرنا ندفن موتانا في وقت صلاة ثم نفرط في الصلاة التي تليها.

إن الإكثار من ذكر الموت لا ينقص الأجل الذي كتبه الله سبحانه وتعالى ولا يقطع عن العمل الذي يحتاجه الإنسان في دنياه، وإنما يبعث على الاستعداد لما بعد الموت من أهوال القبر والقيامة حتى تهون على الإنسان حين يردها أضعف ما يكون حالاً وأقل ما يكون زاداً، قال ﷺ: "فزوروا القبور فإنها تذكر الموت"[3]

---

[1] مسند أحمد (13/ 301)، سنن الترمذي (4/ 553)
[2] فتح الباري لابن حجر (3/ 180)
[3] رواه مسلم (2/ 671)

مواعظ السلف ﷺ عن الموت

كفى بالموت واعظاً:

كان أبو الدرداء ﷺ إذا رأى جنازة قال: "اغدوا فإنا رائحون، وروحوا فإنا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظاً، يذهب الأول فالأول، ويبقى الآخر لا حلم له"[1]، وقال ﷺ: "كفى بالموت واعظاً، وكفى بالدهر مفرقاً، اليوم في الدور، وغداً في القبور"[2]

غفلة الإنسان عن الموت:

قال ابن رجب: "غفلة الإنسان عن الموت مع أنه لا بد له من العجب، والموجب لها طول الأمل"[3]

المنهمك في الدنيا غافل عن ذكر الموت:

قال الغزالي: "اعلم أن المنهمك في الدنيا، المكب على غرورها، المحب لشهواتها، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإذا ذُكر به كرهه، ونفر منه، قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الجمعة: ٨، وأما التائب يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية، فيفي بتمام التوبة"[4]

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 217)
[2] كنز العمال (15/ 699)، موارد الظمآن لدروس الزمان (3/ 218)
[3] لطائف المعارف لابن رجب ص 100
[4] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 449)

الاستعداد للموت:

قال سلمة بن دينار ﷺ: "كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مُت"[1]

قال ابن رجب: "الواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك"[2]

طرق لذكر الموت:

قال الغزالي: "اعلم أن الموت هائل، وخطره عظيم، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم فيه، ومن يذكره، ليس يذكره بقلب فارغ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا، فلا ينجع ذكر الموت في قلبه، وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله، فيتذكر موتهم، ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم"[3]

إذا ذُكِرَ الموتى فعدّ نفسك كأحدهم:

أبصر أبو الدرداء ﷺ رجلاً في جنازة، وهو يقول: من هذا؟ فقال أبو الدرداء ﷺ: هذا أنت، يقول ﷻ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠"[4]، وقال ﷺ: "إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم"[5]

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 239)
[2] مجموع رسائل ابن رجب (3/ 118)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 451 – 452)
[4] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 201)
[5] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 452)

وعن سعيد بن عامر ﷺ: "كان رجل من المسلمين يبلغه موت أخ من إخوانه، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده بذلك جداً واجتهاداً، فيلبث بذلك ما شاء الله، ثم يبلغه موت الأخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جداً واجتهاداً، قال: فردد الحسن هذا الكلام غير مرة، فوالله ما زال كذلك حتى مات موتاً كيساً"[1]

نُذر الموت:

عن وهب بن منبه ﷺ قال: "ينادي مناد: أبناء الستين: عدوا أنفسكم في الموتى"[2]

قال سفيان الثوري ﷺ: "من بلغ سن رسول الله ﷺ فليتخذ نفسه كفناً"[3]

قال ابن رجب: "من لم ينذره باقتراب أجله وحي، أنذره الشيب وسلب أقرانه بالموت"[4]

الإكثار من ذكر الموت:

قال الربيع بن خثيم ﷺ: "أكثروا ذكر هذا الموت فإنكم لم تذوقوا قبله مثله"[5]

قال ابن اللباد: "إذا حدث لك فرح بالدنيا، فاذكر الموت، وسرعة الزوال، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر، واجعل الموت نصب عينيك"[6]

قال أبو حاتم ﷺ: "الواجب على العاقل لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها، وترك الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها؛ إذ الموت رحى دوَّارة بين الخلق، وكأس يُدار بها

---

[1] الزهد لأحمد بن حنبل ص 218
[2] الزهد الكبير للبيهقي ص 241
[3] صيد الخاطر لابن الجوزي ص 242
[4] لطائف المعارف لابن رجب ص 101
[5] لطائف المعارف لابن رجب ص 98
[6] سير أعلام النبلاء (16/ 238)

عليهم، لا بد لكل ذي روح أن يشربها، ويذوق طعمها، وهو هادم اللذات، ومنغِّص الشهوات، ومكدِّر الأوقات"[1]

فوائد ذكر الموت:

قال أبو الدرداء ﷺ: "من أكثر ذكر الموت قلَّ فرحه، وقلَّ حسده"[2]

قال كعب الأحبار ﷺ: "من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها"[3]

قالت صفية رضي الله عنها: "إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها، فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها"[4]

قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: "من أكثر ذكر الموت اجترأ من الدنيا باليسير، إن استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك بُغِض إليك كل فان، وحُبب إليك كل باق، أكثر ذكر الموت، فإن كنت في ضيق من العيش وسَّعه عليك، وإن كنت في سعة من العيش ضيقة عليك"[5]

قال أحمد بن حنبل: "إذا ذكرتُ الموت هان عليَّ كل شيء من أمر الدنيا، وإنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل"[6]

قال الحسن ﷺ: "ما أكثر عبد ذكر الموت إلا رؤى ذلك في عمله، ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل"[7]، وقال: "فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً"[8]

---

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص 283
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 220)
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 44)
[4] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص 132
[5] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (5/ 264)
[6] سير أعلام النبلاء (11/ 215)
[7] الزهد لأحمد بن حنبل ص 218
[8] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 149)

قال ابن عجلان: "من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها"[1]

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: "فكفى بكثرة ذكر الموت مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة "[2]

قال الأوزاعي: "من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير"[3]

قال بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه: "إذا اهتممت لغلاء السعر فاذكر الموت، فإنه يذهب عنك هم الغلاء"[4]

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: "من أكثر ذكر الموت لم يمت قبل أجله، ويدخل عليه ثلاث خصال من الخير، أولها: المبادرة إلى التوبة، الثاني: القناعة برزق يسير، الثالث: النشاط في العبادة"[5]

سكرات الموت وشدته:

قال الغزالي: "اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره، ويعظم له استعداده، وشدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبقَ جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن، إلا وقد حلّ به الألم، فلا تسل عن بدن يجذب من كل عرق من عروقه، ثم يموت كل عضو من

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 129)
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 391)
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 143)
[4] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 347)
[5] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (10/ 66)

أعضائه تدريجياً، ولكل عضو سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة، حتى يبلغ بها الحلقوم، فلا تسأل عن طعم مرارة الموت، وكربه عند ترادف سكراته"[1]

قال ابن رجب: "لا شدة يلقاها المؤمن في الدنيا أعظم من شدة الموت، وهي أهون مما بعدها إن لم يكن مصير العبد إلى خير، وإن كان مصيره إلى خير فهي آخر شدة يلقاها"[2]

قال شداد بن أوس ﷺ: "الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشرٍ بالمناشير وقرْض بالمقاريض، وغَلْي في القدور، ولو أن الميت نُشِرَ بُعِث من قبره، فأخبر أهل الدنيا بألم الموت، ما انتفعوا بعيش ولا تلذَّذوا بنوم"[3]

قال ابن مسعود ﷺ: "ليس بغافل ولا ذاكر للموت من عد غداً من أجله فرب مستقبل يوماً لا يستكمله ومؤمل غداً لا يبلغه لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره. فيا عجبا للفروع ذهبت أصولها وللنجوم قد آن أفولها"[4]

قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: "أيها الناس ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى فيه، وما الحيلة فيما لا يزول، وإنما الشيء من أصله وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفروع بعد الأصل فكل ما هو آت قريب، أيها الناس إنما أنتم في الدنيا أغراض تتنصل فيكم المنايا ونهب للمصائب ومعدن للنوائب مع كل أكلة غصص ومع كل شربة شرق ألا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر فيكم معمر لا بهدم آخر من أجله وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم فأين المهرب مما هو كائن فالله الله يا إخواني لا تركنوا إلى طول الأمل ولا تنسوا اقتراب الأجل

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 461)
[2] مجموع رسائل ابن رجب (3/ 118)
[3] شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي ص 40
[4] بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي ص 159

فالموت لا بد منه، يا إخواني هل رأيتم أحداً خلد في الدنيا حتى تكونوا مخلدين أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين"[1]

[1] بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي ص 159 - 160

موت النبيين عليهم السلام

❖ موت آدم عليه السلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال آدم: من هؤلاء يا رب؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى آدم رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود يكون في آخر الأمم قال آدم: كم جعلت له من العمر؟ قال: ستين سنة، قال: يا رب زده من عمري أربعين سنة، حتى يكون عمره مائة سنة، فقال الله عز وجل: "إذن يكتب ويختم فلا يبدل"، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت لقبض روحه، قال آدم أو لم يبقَ من عمري أربعون سنة؟ قال له ملك الموت أو لم تجعلها لابنك داود؟ قال: فجحد فجحدت ذريته ونسي ونسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته"[1]

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً وألحدوا له وقالوا: هذه سنة آدم في ولده"[2]

❖وصية نوح عليه السلام عند موته لابنه:

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع، والأرضين السبع، لو وضعت في كفة،

---

[1] سنن الترمذي (5/ 267)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 354)

[2] المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 595)، المعجم الأوسط للطبراني (8/ 157)

ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع، كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر"[1]

❖موت إبراهيم عليه السلام:

"لما أراد الله سبحانه وتعالى قبض إبراهيم عليه السلام هبط إليه ملك الموت فقال له إبراهيم عليه السلام: رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟ قال: فعرج ملك الموت إلى ربه ثم عاد إليه فقال له: يا إبراهيم، ورأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ قال: فاقبض روحي الساعة"[2]

❖موت داود عليه السلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان داود النبي عليه السلام فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، قال: "فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة، والله لتفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحاً جناحاً"، قال

---

[1] مسند أحمد (11/ 150)
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (10/ 9)

أبو هريرة ﷺ: يرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله ﷺ يده، وغلبت عليه يومئذ المضرحية"[1][2]

❖موت النبي محمد ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن من نعم الله علي: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل علي عبد الرحمن، وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: "أن نعم" فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: "أن نعم" فلينته، فأمره، وبين يديه ركوة أو علبة – يشك عمر – فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات"، ثم نصب يده، فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده"[3]

وعن أنس ﷺ: " لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه، فقال لها: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم"، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس، مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن، قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب"[4]

---

[1] وغلبت عليه يومئذ المضرحية: وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة، واحدها مضرحي، قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح.
[2] مسند أحمد (15/ 254)
[3] رواه البخاري (6/ 13)
[4] رواه البخاري (6/ 15)

للموت وقت وأجل محدد

للموت وقت يأتي فيه، فلا يستطيع أحد أن يتجاوز الأجل الذي ضربه الله ﷻ، وقد قدر الله ﷻ آجال العباد، وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ، وكتبته الملائكة الكرام والمرء في بطن أمه، فلا يتأخر المرء عما كتب له ولا يتقدم، وكل إنسان مات أو قتل أو غرق أو سقط من طائرة أو سيارة أو احترق أو غير ذلك من الأسباب، فإنه قد مات بأجله الذي قدره الله ﷻ وأمضاه، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥، وقال ﷻ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ النساء: ٧٨، وقال ﷻ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأعراف: ٣٤، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴿٨﴾ ﴾ الجمعة: ٨، وقال ﷻ: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الواقعة: ٦٠، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: "اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية"، قال: فقال النبي ﷺ: "قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل أجله، أو يؤخر شيئاً عن أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرا وأفضل"[1]

[1] رواه مسلم (4/ 2051)

رسائل مؤثرة عن الموت

الرسالة الأولى:

مفاهيم الموت لدى الناس تختلف، فهناك من يشعر بالموت حين يفقد إنساناً عزيزاً، ويخيل إليه أنّ الحياة قد انتهت، وأنّ ذلك العزيز حين رحل أغلق أبواب الحياة خلفه، وأنّ دوره في الحياة بعده قد انتهى، وهناك من يشعر بالموت حين يحاصره الفشل من كل الجهات، ويكبّله إحساسه بالإحباط عن التقدّم، فيخيل إليه أنّ صلاحيّته في الحياة قد انتهت، وأنّه لم يعد فوق الأرض ما يستحق البقاء من أجله.

الرسالة الثانية:

الموت كلمة تخبرك عن إنسان فارقك إلى غير رجعة أو لقاء في هذه الدار، وأصبح من أخبار الماضي، ولم يبقَ لك منه إلّا الذكريات، وإن كان فارقك منذ سويعات.

الرسالة الثالثة:

يقولون للذين سيموتون لن ننساكم لكننا سنكمل الحياة، ويقولون عن الموت أشياء لم يختبروها، ويبقى الموت جامداً ليّناً عصيّاً أزليّاً غامض الطريقة.

الرسالة الرابعة:

الموت هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقتها له، والانتقال من دار إلى دار، وبه تطوى صحف الأعمال، وتنقطع التوبة، والإمهال.

الرسالة الخامسة:

استبقوا الخيرات، وبادروا قبل أن تتمنّوا المهلةَ، وهيهاتَ هيهات، ولا تغترّوا بحياةٍ تقود إلى الممات، لا يُرى في حُشودِها إلّا الشتات، ولا يُسمَع في ربوعِها إلّا فلان مرِض وفلان مات.

الرسالة السادسة:

هم كانوا هنا ثمّ رحلوا، غابوا ولهم أسبابهم في الغياب، لكن الحياة خلفهم ما زالت مستمرة، فالشمس ما زالت تشرق، والأيام ما زالت تتوالى والزمن لم يتوقف بعد، ونحن ما زلنا هنا ما زال في الجسد دم، وفي القلب نبض، وفي العمر بقية، فلماذا نعيش بلا حياة، ونموت بلا موت؟

الرسالة السابعة:

فإذا كان الله ﷻ منحنا الحياة، فهو لا يمكن أن يسلبها بالموت، فلا يمكن أن يكون الموت سلباً للحياة، وإنّما هو انتقال بها إلى حياة أخرى بعد الموت ثمّ حياة أخرى بعد البعث، ثمّ عروج في السماوات إلى ما لا نهاية.

الرسالة الثامنة:

ربما يموت الذين اهتم لهم كثيراً قبلي، لا يحضرون عزائي، ولا يرون غيابي كما رأيت غيابهم، أفقدهم، ولا يفقدوني، يغيبون مرتين يوم موتهم، ويوم موتي.

الرسالة التاسعة:

احرصوا على الموت توهب لكم الحياة، واعلموا أنّ الموت لا بدّ منه، وأنّه لا يكون إلّا مرةً واحدةً، فإن جعلتموها في سبيل الله ﷻ كان ذلك ربحَ الدنيا وثوابَ الآخرة.

الرسالة العاشرة:

الموت كلمة تخبرك عن ضيف سيحلّ بك رغم أنفك، ودون تحديد لموعد الزيارة، فهو صاحب الشأن بهذا الخصوص، وقد قصم ظهور الجبابرة، ووسدهم التراب.

خـواطـر عـن الـمـوت

الخاطرة الأولى:

الموت هو النهايةُ الحتميّة للأشياء، وهو النقطة الأخيرة التي تُكتب في نهاية السطر، وأكثر الأحداث التي تُسبّب الألم في النفوس، فالموت بكلّ ما فيه من وحشة، يهدم اللذات ويُفرّق بين الناس، ويفصل بين الآباء والأمهات والأبناء، ويُبعد الأحبة عن بعضهم البعض، فكم من عينٍ بكت من الموت، وكم من قلبٍ غصّ بالحزن بسبب الموت، وكم من بيوتٍ أُغلقت بعد أن أنهى الموت حياة ساكنيها، فالموت قاسٍ لا يُفرّق بين الكبير والصغير، ولا يُفرّق بين غني وفقير، ولا بين أميرٍ أو خادم، وهو كأسٌ يدور بين الناس جميعًا، ولا بدّ للجميع أن يشرب من هذا الكأس ليتجرّع مرارة الموت، لهذا من المستحيل أن يكون هناك بيتٌ لم يفقد أهله حبيبًا أو قريبًا أو صديقًا بالموت، فالموت شيءٌ حتميّ لا مفرّ منه، ولا بدّ من أنْ يأخذ جميع الأرواح، ولا بدّ أن يزورَ جميعَ البيوت.

الخاطرة الثانية:

للموت فلسفةٌ عميقة تمتلئُ تفاصيلها بالأسى، لهذا تنفر القلوب من ذكره، وتنتفض الأرواح رعبًا منه، فالموت هو الرحلة التي لا عودة منها، ولا أحد يعلم ما إن كانت هذه الرحلة سهلة أم صعبة أم متعبة، لأن الغموض يكتنف الموت ويُحيط بتفاصيله الموحشة، ولا يعلم بأمره إلا الله ﷻ، وإن حضر الأجل وحانت ساعة الموت، فلن ينفع الطب ولا الدواء ولن ينفع الأولاد ولن تنفع الأموال، فالموت قاهرٌ يفرض سطوته على الجميع، ودائمًا تكون الكلمة النهائية له، والله ﷻ قهر العباد بالموت،

كي يعلم العباد أن الله ﷻ وحده قادرٌ على الإحياء، وأن الموت والحياة بيده وحده.

الخاطرة الثالثة:

لو كان الموت يعرف مقدار الألم والغصّة التي يتركها في القلوب لما تجرأ أبدًا على زيارة أحد، ولو كان يعلم أنه حين ينزع الروح من جسدٍ واحد فإنه ينزع الفرح من قلوب أهله وأحبته لما كان نزع فرحة أحدًا، لكن الموت حقٌ وقدرٌ لا مفرّ منه، وهو السكين التي تنغرس في قلب الحياة لتتركها جثة هامدة لا حول لها ولا قوة، وهو السم القاتل الذي يترك الورود اليانعة صفراء ميتة، فالموت هو الوجه الآخر للحياة، لكنه الوجه المرعب والقاسي، والوجه المنفر الذي لا يرغب برؤيته أحد، ورغم هذا لا بدّ للإنسان أن يستسلم لحقيقته، وأن يعمل لأجله، وأن يترك خلفه أثرًا طيبًا، فالموت ينزع الأرواح ويترك الأجساد جثة هامدة، لكنه لا يُنهي العمل الطيب والسمعة الحسنة، ولا يمحو أعمال الإنسان الصالحة؛ لأن الله ﷻ الذي يقهر عباده بالموت سيبعثهم من جديد حيث لا موتَ بعدَها أبدًا.

الخاطرة الرابعة:

الموت هو النهاية الحتمية لجميع المخلوقات، ومهما قيل من كلام عن الموت تظلّ الألسن عاجزة عن وصف أهواله، فالموت حق والله ﷻ خلق الموت والحياة ليبتلي عباده ويرى من يصبر ومن يكفر.

الخاطرة الخامسة:

الموت انقطاع للعمل وانقطاع لتعلق الروح بالبدن ومفارقتها الحتمية له، بعكس الحياة التي تكون فيها الروح متعلقة بالبدن ومتصلة به، لكن الله ﷻ يُجسد الموت

يوم القيامة ويجعله على هيئة كبشٍ ثم يُذبح، وبهذا ينتهي الموت إلى الأبد، وقد قال الناس كلام عن الموت ووصفوه بوصوف كثيرة؛ لأنّ من يعش الفقد يظلّ مترقبًا للموت في كلّ لحظة.

الخاطرة السادسة:

الموت حق على جميع المخلوقات، ويذهبون بعده إلى الجنة أو إلى النار، وهو النهاية الأكيدة التي لا بدّ لكل كائن حي أن يتعرض لها، وهو من أصعب الظروف التي يتعرض لها الإنسان في حياته، خصوصًا إن كان الموت قد خطف إنسانًا عزيزًا، مما يجعل الشخص يُفكر كثيرًا فيه ويبحث عن كلماتٍ تواسيه وعبارات تتحدث عن الموت، منها وصايا الرسول ﷺ في الإعداد لساعة الموت.

الخاطرة السابعة:

لا يوجد وهم يبدو كأنه حقيقة مثل الحب، ولا حقيقة نتعامل معها وكأنها الوهم مثل الموت، فإذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منحنا الحياة فهو لا يمكن أن يسلبها بالموت، فلا يمكن أن يكون الموت سلبًا للحياة، وإنما هو انتقال بها إلى حياة أخرى بعد الموت ثم حياة أخرى بعد البعث ثم عروج في السماوات إلى ما لا نهاية.

الخاطرة الثامنة:

الموت هو الفجيعة العظمى التي لا يملك المرء تجاهلها إلا أن يقف مُسلِّمًا؛ لأنَّ ذلك مما هو محتومٌ ومقدَّرٌ على مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ منذ الأزل، ولا يمكن دفع الموت بأي طريقةٍ إذ إنَّه آتٍ لا محالة منه ولا سبيل للهروب من ذلك، ودائمًا ما تكون مصيبة الموت من أكبر ما قد يُواجهه النَّاس في أحبائهم وذويهم.

الخاطرة التاسعة:

أكثر كلام عن الموت يمكن أن يتأثر به الإنسان هو كلام الله ﷻ عنه، إذ ورد في آيات القرآن الكريم كلام عن الموت تشيب له الرؤوس، وترتعد منه القلوب، فالموت مصيبة عظيمة، ونقصٌ في الأنفس، وهو فرصة ليتعظ الإنسان في حياته الدنيا ويبتعد عن المعاصي والذنوب، فما دام الموت هو النهاية الحتمية للإنسان، فعليه ألّا يغتر بحياته الدنيا أبدًا، وأن يقرأ كلام عن الموت ويتذكره في كلّ لحظه لينجو من النار.

الخاطرة العاشرة:

الموت هو انتقال الإنسان من حالة الحياة إلى حالة انعدامها، ولا يستطيع أي مخلوقٍ على الأرض أن يُبعد عنه هذا القدر المحتوم، إذ إنَّها النهاية الحتمية لأيِّ شيءٍ موجودٍ على هذه الأرض، ومن المستحيل أن يعود الميت إلى الحياة بعد أن دخل جسده في حالة الموت الأخيرة، وخرجت روحه من جسده لينتقل من الدُّنيا إلى الآخرة، ومهما اختلفت طقوس الموت بين بقاع الأرض، وتباينت مفاهيم الموت بين الأديان إلا أنَّها تبقى تلك الحقيقة الخالدة التي لا يُمكن نكرانها أو الهروب منها، ويُرافق الموت حالة حزن وأسى يُعاني منها أهل الميت وأصحابه.

قالوا عن الموت

قال القرطبي: " فاعلم: أن الموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وأنه الحارث الأهذم للذات والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات، فإن أمراً يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، لهو الأمر العظيم، والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم"[1]

قال البيهقي: "الموت كسوف قمر الحياة، وخسوف شمسها، وهو ليوم الحياة مساء، والمحسن والمسيء فيها سواء، وهو منتهى راحة قوم ومبتدأ عذابهم، والموت بين الدنيا والآخرة جسر عليه بكل أحد معبر عليه، والموت وإن كان للحياة الفانية آخرا فهو للحياة الباقية أولاً وصدراً"[2]

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "عَجَبًا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه، فلمّا نزل به قال له ابنه عبد الله بن عمرو: يا أبَتِ إنّك كنتَ تقول عجبًا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فصِفْ لنا الموت وعقلك معك، فقال: يا بُنَيّ، الموت أَجَلُّ مِنْ أن يُوصَف ولكنّي سأصف لك منه شيئًا، أجدني كأنّ على عنقي جبالَ رَضْوَى، وأجدني كأنّ في جوفي شوك السُّلاَّء، وأجدني كأنّ نفَسي يخرج من ثَقْبِ إبْرَةٍ"[3]

الموت هو انتقال من دار إلى دار، ونحن خلقنا للأبد، لكنا ننتقل من دار إلى دار، حتى يستقر بنا القرار، في جنة نعيمها مقيم أو ضده، نسأل الله عز وجل الجنة ونعوذ به

[1] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص 165
[2] الزهد الكبير للبيهقي ص 228
[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 514)

من النار، قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: "إنما خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار"[1]

قال الزبير بن بكار: "قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها وانشمرت، حتى لم يبقَ منها إلا كصبابة الإناء إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله ﷻ وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرماً"[2]

قال أبو بكر الصديق ﷺ: "أن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت، وإن أنت ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت، ولن تعجزه"[3]

فالشوق إلى لقاء الله ﷻ إنما يكون بمحبة الموت، وذلك لا يقع غالباً إلا عند خوف ضراء مضرة في الدنيا، أو فتنة مضلة في الدين، فأما إذا خلا عن ذلك كان شوقاً إلى لقاء الله ﷻ، وهو المسئول في هذا الحديث، فالمطيع لله ﷻ مستأنس بربه ﷻ فهو يحب لقاء الله ﷻ، والله ﷻ يحب لقاءه، والعاصي مستوحش بينه وبين مولاه ﷻ وحشة الذنوب، فهو يكره لقاء ربه ﷻ ولابد له منه.

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (5/ 287)
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 39)
[3] مصنف ابن أبي شيبة (7/ 434)

أيها الغافل عن الموت انتبه

قال ابن الجوزي: "كأنك بالعمر قد انقرض، وهجم عليك المرض، وفات كل مراد وغرض، وإذا بالتلف قد عرض أخاذاً ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾ ق: ٢٢ شخص البصر وسكن الصوت، ولم يمكن التدارك للفوت، ونزل بك ملك الموت فسامت الروح وحازى ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، عالجت أشد الشدائد، فيا عجبا مما تكابد، كأنك قد سقيت سم الأساود فقطع أفلاذاً ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، بلغت الروح إلى التراقي، ولم تعرف الراقي من الساقي، ولم تدر عند الرحيل ما تلاقي، عياذاً بالله عياذاً ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، ثم درجوك في الكفن وحملوك إلى بيت العفن، على العيب القبيح والأفن، وإذا الحبيب من التراب قد حفن، وصرت في القبر جذاذاً ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، وتسربت عنك الأقارب تسري، تقد في مالك وتفري، وغاية أمرهم أن تجري دموعهم رذاذاً ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، قفلوا الأقفال وبضعوا البضاعة، ونسوا ذكرك يا حبيبهم بعد ساعة، وبقيت هناك إلى أن تقوم الساعة، لا تجد وزراً ولا معاذاً ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، ثم قمت من قبرك فقيراً، لا تملك من المال نقيراً، وأصبحت بالذنوب عقيراً، فلو قدمت من الخير حقيراً صار ملجأ وملاذاً، ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، ونصب الصراط والميزان، وتغيرت الوجوه والألوان، ونودي: شقي فلان بن فلان، وما ترى للعذر

نفاذاً ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾، كم بالغ عذولك في الملام، وكم قعد في زجرك وقام، فإذا قلبك ما استقام، قطع الكلام على ذا ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴿٢٢﴾ ﴾"[1]

وقال في موضع آخر:

"يا مطلقاً نفسه فيما يشتهي ويريد، اذكر عند خطواتك المبدئ المعيد، وخف قبح ما جرى فالملك يرى والملك شهيد ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦ هلا استحيت ممن يراك إذا ركبت من هواك ما نهاك، ستبكي والله عيناك مما جنت يداك، أما تعلم أنه بالمرصاد فقل لي أين تحيد ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾، لو صدق علمك به لراقبته، ولو خفت وعيده في الحرام ما قاربته، ولو علمت سموم الجزاء في كأس الهوى ما شربته، لقد أضعنا الحديث عند سكران يميد، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾"[2]

وقال في موضع آخر:

كم من ظالم تعدى وجار، فما راعى الأهل ولا الجار، بينا هو يعقد عقد الإصرار حل به الموت فحل من حلته الأزرار ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر: ٢ ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن، لو رأيته وقد حلت به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾،

---

[1] التبصرة لابن الجوزي (2/ 258)
[2] التبصرة لابن الجوزي (2/ 253 – 254)

سال في اللحد صديده، وبلي في القبر جديده، وهجره نسيبه ووديده، وتفرق حشمه وعبيده والأنصار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾

أين مجالسة العالية، أين عيشته الصافية، أين لذاته الحالية، كم كم تسفي على قبره سافية، ذهبت العين وأخفيت الآثار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾، تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرناء والأتراب، وصار فراشه الجندل والتراب، وربما فتح له في اللحد باب النار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾، خلا والله بما كان صنع ، واحتوشه الندم وما نفع، وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع، وخلاه الخليل المصافي وانقطع، واشتغل الأهل بما كان جمع، وتملك الضد المال والدار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾، نادم بلا شك ولا خفا، باك على ما زل وهفا، يود أن صافي اللذات ما صفا، وعلم أنه كان يبني على شفا جرف هار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾، قارنه عمله من ساعة الحين، فهو يتمنى الفرار وهيهات أين، ويقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين، فهو على فراش الوحدة وحده والعمل ثاني اثنين، ولكن لا في الغار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾، وهذه إن كانت حالة من غداً، فلكل منكم مثلها غداً، فانتبهوا من رقادكم قبل الردى ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ ﴾ القيامة: ٣٦، إنما هي جنة أو نار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ ﴾"[1]

[1] التبصرة لابن الجوزي (1/ 279 – 280)

أيها الغافلون: "أين أحبابكم الذين سلفوا أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا أين أصحاب الأموال وما خلفوا، ندموا والله على التفريط يا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد، إذا ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ ق: ١٩، فواعجبا لك كلما دعيت إلى الله ﷻ توانيت، وكلما حركتك المواعظ إلى الخيرات أبيت، وعلى غيك وجهلك تماديت، وكم حذرت من المنون فما التفت إلى قول الناصح وتركته وما باليت.

يا من جسده حي ولكن قلبه ميت، ستعاين عند قدوم هادم اللذات ما لا تشتهي وتريد ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾، كم أزعج الموت نفوساً من ديارها، وكم أتلف البلى من أجساد منعمة، لم يدارها، وكم أذل في التراب وجوها ناعمة بعد رفعتها واستقرارها"[1]

أيها الغافل: " ربح القوم وخسرت، وساروا إلى الحبيب وما سرت، وقاموا بالأوامر وضيعت ما به أمرت، وسلموا من رق الهوى واغتررت فأسرت، فالدنيا تخدمهم والسعادة تقدمهم حين يحشرون ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المطففين: ٢٦، لقد شوقتم إلى الفضائل فما اشتقتم، وزجرتم عن الرذائل وأنتم في سكر الهوى ما أفقتم، فلو حاسبتم أنفسكم وحققتم، علمتم أنكم بغير وثيق توثقتم، فاطلبوا الخلاص من أسر الهوى فقد جد الطالبون ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾، أيقظنا الله وإياكم لمصالحنا، وعصمنا من ذنوبنا وقبائحنا، واستعمل في طاعته

[1] موارد الظمآن لدروس الزمان (1/ 355)

جميع جوارحنا، ولا جعلنا ممن يرضى بدون ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾"[1]

عن العباس بن الوليد قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: سمعت **روح بن مدرك** على المنبر يخطب يقول: "الآن قبل أن تسقم، فتضنى وتهرم، فتفنى، ثم تموت، فتنسى، ثم تقبر، فتبلى، ثم تبعث، فتحيي، ثم تحضر، فتدعى، ثم توقف، فتجزى بما قدمت وأمضيت وأذهبت فأفنيت من موبقات سيئاتك، ومتلفات شهواتك، فالآن الآن وأنتم سالمون"[2]

قال شميط بن عجلان: "أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة، أبالصحة تغترون؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم بالموت تأمنون؟ أم على ملك تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد وغصص وندامة على التفريط؟ ثم يقول: رحم الله عبداً عمل لساعة الموت، رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت"[3]

يقول ابن الجوزي: "كم يوم غابت شمسه وقلبك غائب، وكم ظلام أسبل ستره وأنت في عجائب، وكم أسبغت عليك نعمه وأنت للمعاصي توائب، وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتب، وكم ينذرك سلب رفيقك وأنت لاعب، يا من يأمن

[1] التبصرة لابن الجوزي (1/ 235 – 236)
[2] الزهد الكبير للبيهقي ص 207
[3] صفة الصفوة لابن الجوزي (2/ 205)

الإقامة قد زمت الركائب، أفق من سكرتك قبل حسرتك على المعايب، وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب، وانهض على بساط الرقاد وقل: أنا تائب، وبادر تحصيل الفضائل قبل فوت المطالب، فالسائق حثيث والحادي مجد والموت طالب"[1]

قال القرطبي: "فمثل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات فمن قائل يقول: إن فلاناً قد أوصى وماله قد احصى، ومن قائل يقول: إن فلاناً ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأني أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكي ابنتك وهي كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبي أبي من ليتمي من بعدك؟ ومن لحاجتي؟ وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب، فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك، إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل، وألبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل أين زوجة فلان تحالله؟ وأين اليتامى تركككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً"[2]

أما آن للنائم أن يستيقظ من نومه؟ وحان للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه؟ وقبل سكون حركاته، وخمود أنفاسه، ورحلته إلى قبره، ومقامه بين أدماسه.

[1] التبصرة لابن الجوزي (1/ 90)
[2] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص 157 -158

كفى بالموت واعظاً

إن الله ﷻ قد كتب الفناء على كل شيء، وكتب الموت على كل مخلوقٍ حيٍّ، عند الموت؛ يستوي الكبير والصغير، والملك والأمير، والرئيس والوزير، والصالح والطالح، والمؤمن والكافر، والغني والفقير، فلا رادَّ لقدره وقضائه، ولا مانع لمواهبه وعطائه، فوحِّد الله ﷻ أيها الإنسان: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ القصص: ٨٨

فلا مخلوق كتب له البقاء، ولا موجود كتب له الدوامُ والخلود، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرحمن: ٢٦ - ٢٧، فإذا كان أحبُّ خلق الله ﷻ إلى الله ﷻ؛ وهو محمد رسول الله ﷺ، قال له الله ﷻ:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠، فكيف بغيره من الناس؟!

والنفوس لها آجال محدودة، وأعمار معدودة، لا تزيد ولا تنقص، ولا يتقدم الأجل عن موعده ولا يتأخر، قالت أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: "اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي ﷺ: "قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل حله، أو يؤخر شيئاً عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيراً وأفضل"[1]، فالكفار والمكذّبون بالموت وما بعده، والمتشبثون بالدنيا، هؤلاء: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ

[1] رواه مسلم (4/ 2050)

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الحجر: ٣ - ٥، فالأجل محتوم، وكلُّ أمَّةٍ تنتظرُ أجلَها: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأعراف: ٣٤،

"فسبحان من كتب الموت على من تحت عرشه، سبحان من تفرَّد بالوجود الأزليّ والبقاء السرمدي دون خلقه، سبحان من ساوى بين البريَّة في ورود حياض المنية، فلا القويُّ يعتصم منها بقوته، ولا العزيز يرتفع عنها بعزته"[1]

الموت إذا أقبل هيَّأَ اللهُ ﷻ له الأسباب، فمنهم من يموت بمرض من الأمراض، ومنهم من يموت بالقتل، ومنهم من يموت بالخنق أو التردي من شواهق الجبال، أو شرب السُّموم، ومنهم من يموت ميتة مشرفة، كمن يموت في سبيل من سبل الخير؛ يموت غادياً إلى المسجد أو رائحاً، أو ساعياً على أرملة أو يتيم أو مسكين، أو يموت شهيداً في سبيل الله ﷻ لرفع كلمة لا إله إلا الله، فيُذكر على إثرها بالخير، ويورث الثناءَ الحسن، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "مر بجنازة فأثني عليها خيراً، فقال نبي الله ﷺ: "وجبت، وجبت، وجبت"، ومر بجنازة فأثني عليها شراً، فقال نبي الله ﷺ: "وجبت، وجبت، وجبت"، قال عمر: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة، فأثني عليها خير، فقلت: "وجبت، وجبت، وجبت"، ومر بجنازة، فأثني عليها شر، فقلت: "وجبت، وجبت، وجبت"؟ فقال رسول الله ﷺ: "من أثنيتم عليه خيراً

[1] التذكرة في الوعظ لابن الجوزي ص106

وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض"[1]

وعن أبي الأسود ﷺ قال: "قدمت المدينة وقد وقع بها مرض، فجلست إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فمرت بهم جنازة، فأثني على صاحبها خيراً، فقال عمر ﷺ: وجبت، ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها خيراً، فقال عمر ﷺ: وجبت، ثم مر بالثالثة فأثني على صاحبها شراً، فقال: وجبت، فقال أبو الأسود ﷺ: فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي ﷺ: "أيما مسلم، شهد له أربعة بخير، أدخله الله الجنة"، فقلنا: وثلاثة، قال: "وثلاثة"، فقلنا: واثنان، قال: "واثنان"، ثم لم نسأله عن الواحد"[2]

فالشهادة للمسلم من المسلمين ما هي إلا بسبب أعمال حسنة كان يقوم بها حال حياته جعلت الناس يثنون عليه، عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالنباوة، أو البناوة، قال: والنباوة من الطائف، قال: "يوشك أن تعرفوا أهل الجنة، من أهل النار"، قالوا: بم ذاك؟ يا رسول الله قال: "بالثناء الحسن، والثناء السيئ، أنتم شهداء الله بعضكم على بعض"[3]

أما من مات على حالة من هذه الحالات الواردة عن النبي ﷺ فهو من الشهداء، فعن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "الطاعون شهادة لكل مسلم"[4] ،

---

[1] رواه مسلم (2/ 655)
[2] رواه البخاري (2/ 97)
[3] سنن ابن ماجه (2/ 1411)
[4] رواه البخاري (4/ 24)، رواه مسلم (3/ 1522)

الشهداء خمسة: "المطعون، والمبطون[1]، والغرق[2]، وصاحب الهدم[3]، والشهيد في سبيل الله"[4]

أما الموت أثناء أداء عبادة من العبادات؛ فشأنه عظيم عند الله ﷻ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أوقصته راحلته وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: "اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه، ولا تخمروا رأسه ولا وجهه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً"[5]، وهو الميت الوحيد من بين الموتى الذين لا تغطَّى رؤوسهم، ولا وجوههم عند التكفين، وعند الدفن.

والموت في البقاع الطاهرة، والأماكن المقدسة له مكانة عظيمة، وشرفٌ كبير، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها"[6]

أو يموت في حال ذهابه لمعصية من معاصي الله ﷻ جلَّت قدرتُه، كمن يموت وهو ذاهب إلى ماخور من مواخير الخمور، أو إلى وكر من أوكار الدعارة، أو الانضمام إلى عصابة من عصابات القتل والإرهاب والإجرام، أو فعل أيِّ معصية، فإنه سيبعث يوم القيامة على العمل الذي مات عليه، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يبعث كل عبد على ما مات عليه"[7]

"أن في الموت حكمة لمن أراد التدبر وعبرة لمن اعتبر فمن الحكمة في الموت وضع عماد المتكبرين وتنغيص حياة المترفين وتكذيب ظنون الآملين وتنبيه عقول الغافلين

---

[1] المبطون: الذي يصاب بداء في البطن فيموت بسببه.
[2] الغرق: الذي يموت غرقاً.
[3] صاحب الهدم: الذي يقع عليه جدار ونحوه كارتطامه بسيارة.
[4] رواه البخاري (4/ 24)
[5] رواه مسلم (2/ 866)
[6] سنن الترمذي (5/ 719)
[7] رواه مسلم (4/ 2206)

وإزعاج قلوب المطمئنين ورفع أيدي المتسلطين وتخفيف أثقال العبادة عن العاملين وفوز المحبين بلقاء من كانوا إليه مشتاقين ولو لم يكن في الموت إلا أنه قضاء رب العالمين لكان الرضا به فرضاً لازماً لجميع المؤمنين الموت انقطاع عن دار الفناء واتصال بدار البقاء وخروج من دار العمل ودخول في دار الجزاء الموت راحة المسيء والمحسن أما المسيء فينقطع عنه استمرار طغيانه وأما المحسن فيفضي إلى دار الجزاء على إحسانه الموت فيه لقاء الأحباب وإحراز الثواب فليس يكرهه إلا مريب مرتاب"[1]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا أراد الله بقوم عذاباً، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم"[2]

"الموت فيه تواصل الأحباب وبه حياة المؤمن الأواب يشتاقه البر المطيع لأنه يفضي إلى زلفى وحسن مآب يحلو الممات لمن رجا بمماته لقيا الكريم الماجد الوهاب ويحيد منه كافر أو فاجر قد يشرده سخطه وعقاب فامهد لنفسك قبل موتك موقناً أن الممات مقطع الأسباب واعلم بأنك عن قريب خالد في دار خلد أو أليم عقاب سيصحو السكران من سكره حين لا يمكنه تلافي أمره سيندم المضيع على تضييعه إذا قابله أمر صنيعه"[3]

فهناك: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩، ولا ينفع هناك إلاَّ النوايا الصالحةُ الخالصة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم"، قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم،

[1] التذكرة في الوعظ لابن الجوزي ص 107
[2] رواه مسلم (4/ 2206)
[3] التذكرة في الوعظ لابن الجوزي ص 108

وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: "يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم"[1]

فيكفي بالموت واعظاً وزاجراً، فاستيقظ من سباتك، وتب إلى الله ﷻ قبل فوات الآوان، وقبل أن يأتيك الموت بغتة، فمن لم يكن له الموت واعظاً فلا واعظ له بعد ذلك.

كفى بالموت واعظاً

[1] رواه البخاري (3/ 65)

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقنا في تقديم هذا الكتاب، وقد كان الكتاب يتكلم عن **الموت وأن كل نفس ذائقة الموت**، وقد بذلنا كل الجهد والبذل لكي يخرج هذا الكتاب في هذا الشكل، نرجو من الله ﷻ أن تكون رحلة ممتعة وشيقة، وكذلك نرجو أن تكون قد أرتقت بدرجات العقل الفكر، حيث لم يكن هذا الجهد بالجهد اليسير، ونحن لا ندعى الكمال فإن الكمال لله ﷻ فقط، ونحن قد قدمنا كل الجهد لهذا الكتاب، فإن وفقنا فمن الله ﷻ وإن أخفقنا فمن أنفسنا، وكفانا نحن شرف المحاولة، وأخيراً نرجو أن يكون هذا الكتاب قد نال إعجابكم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

كتبه

محمود حسن حجازي

أبو حازم

فلسطين – غزة

الـفـهـرس

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	2
آية قرآنية	3
المقدمة	4
سكرات الموت	9
مواعظ السلف ﷺ عن الموت	14
موت النبيين عليهم السلام	21
للموت وقت وأجل محدد	24
رسائل مؤثرة عن الموت	25
خواطر عن الموت	27
قالوا عن الموت	31
أيها الغافل عن الموت انتبه	33
كفى بالموت واعظاً	39
الخاتمة	45
الفهرس	46

تم بحمد الله